

مهمة ابن زايد المستحيلة.. يريد تحويل دويلته إلى “إسرائيل” أخرى

كتبه ديفيد هيرست | 10 يوليو، 2020



تمخضت الانتفاضة العربية التي انطلقت في عام 2011، وما بدا أنه بداية تحول ديمقراطي في مصر، عن موجة من التدخلات العسكرية والانقلابات والحروب الأهلية التي لا تبدو عليها أعراض الإجهاد حتى بعد عقد من الزمن.

إن الذين استهدفتهم هذه الحملة، إما قضاوا نحبهم أو يقبعون في السجون أو تم نفيهم من الأرض – فقد باتت جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وتنظيم القاعدة، ومجموعة الدولة الإسلامية في سوريا والعراق، قوى مضمحلة. ورغم ما بين هذه القوى من اختلاف وتناقض، إلا أنها تبدو في نظر الثورة المضادة شيئاً واحداً.

أضحت الإسلاموية، أياً كان شكلها -سياسية أو محاربة- جزءاً ضئيلاً مما كانت عليه كقوة في عام 2011، وستظل في المدى المنظور عاجزة عن إخراج مئات الآلاف من الناس إلى الشوارع، ناهيك عن أن تتمكن من إسقاط أنظمة، كما فعلت ذات مرة في تونس ومصر واليمن.

ومع ذلك تبقى على شراستها تلك الثورة المضادة، التي كشرت عن أنيابها عندما أسقطت رئيس مصر محمد مرسي في عام 2013، وتمضي قدماً في إنتاج طواغيت مثل محمد بن سلمان في المملكة العربية السعودية وعبدالفتاح السيسي في مصر وخليفة حفتر في ليبيا، يشتركون فيما بينهم بازديادهم للانتخابات الحرة وبعيشتهم كالفراعنة، وبتكوينهم سلالات حاكمة تتشكل من أفراد عائلاتهم وأبنائهم.

وهؤلاء جميعاً مدينون لرجل واحد هو الذي أوصلهم إلى السلطة إما تمويلاً أو تسليحاً أو توجيهاً.

فهذا الرجل هو الذي بعبريته نظم انقلابات مصر، وهو الذي أصبح لاعبا أساسيا في الحرب الأهلية التي تدور رحاها داخل ليبيا، وهو الذي يمد أذرع موائته لتصبح متنفذة داخل القرن الأفريقي، وهو الذي دفع السعوديين لشن حرب في اليمن دعماً لنجل الرئيس اليمني الراحل علي عبدالله صالح، ثم تخلى عن تلك الاستراتيجية لصالح دعم الانفصاليين الجنوبيين، وهو الذي لعب دوراً أساسياً في فرض الحصار على جارتة قطر، وهو الذي عرف عشيرة ترامب على أمير مغمور وألقى برجل السي أي إيه في الرياض في كومة من الركام.

لا توجد مشكلة لم يغمس ولي عهد أبوظبي محمد بن زايد إصبعه فيها. ومع ذلك يندر أن تسمع له خطاباً أو ترى له مقابلة، وحتى عندما يحدث ذلك فإنه يبدو عفوياً، كتوماً وإذا تكلم فبنعومة.

في المناسبات النادرة حينما يتحدث مع صحفي، كما فعل عندما تحدث مع روبرت وورث من ذي نيويورك تايمز، فإنه يقدم نفسه كما لو كان فارساً متردداً في درعه اللامع، كمتفاعل مع الأحداث الواقعة، وكرجل إطفاء يسعى لإخماد الحرائق المشتعلة والتي تنذر بخطر مستطير، وكان من بين الأحداث المحفزة له على ذلك هجمات الحادي عشر من سبتمبر (كان اثنان من المهاجمين إماراتيين) والربيع العربي.

الولايات المتحدة تتراجع كقوة منظمة للأوضاع في منطقة الشرق الأوسط

هذا استعراض يستهدف الجمهور الغربي الذي لا يعرف الكثير عما يجري.

الخطر الإسلامي من وجهة نظر محمد بن زايد

ولكن مع مرور الوقت، لا يمكن لتلك الحكاية أن تكون القصة الكاملة. فبينما يطور محمد بن زايد مواجهته للجهاد، تتطور وتتمدد كذلك طموحات هذا الأمير الهادئ، الذي يتحدث الإنجليزية بطلاقة، والذي تلقى تدريباته في ساندهيرست.

لم يعد إحباط الخطر الإسلامي المحدق - كما يصفه محمد بن زايد - كاف لتفسير طموحاته وأحلامه، وما لها من مدى وما ينجم عنها من تكاليف، حيث أن الخطر الإسلامي القابع في كابوسه بات هامداً إلى حد بعيد.

كمراقب يتمتع بالدهاء، بإمكانه أن يرى، وبشكل واضح مثله مثل أي شخص آخر، أن الولايات المتحدة تتراجع كقوة منظمة للأوضاع في منطقة الشرق الأوسط. ويعرف كيف يتلاعب بالقرارات في البيت الأبيض، بإمكانه أن يقرأ في وجوه المسؤولين هناك جهلهم وكبرهم وطمعهم الشخصي، فتصب أمواله بشكل مباشر في جيوبهم، ومن ثم بإمكانه أن يلعب على أنغام الفوضى التي تصدر عن أسلوب صناعة القرار داخل المكتب البيضاوي الذي بات أشبه بآلة المندولين (الطنبور).

لابد أنه خطر بباله أن الشرق الأوسط يحتاج إلى حاكم جديد. فلم لا يكون ذلك الحاكم هو؟ فقد حان الوقت، كما قدر، للخروج من الظل وليقوم بنصب طاولته ويعرض عليها بضاعته.

إذن، ما هي المهمة؟

بيان المهمة

ولعل هذا ما عبر عنه بجرأة مؤخراً، كما يرى البعض، سفير محمد بن زايد لدى الولايات المتحدة، يوسف العتيبة.

فقد حذر "إسرائيل" في مقال الرأي الذي نشرته له صحيفة ידיعوت أحرونوت الإسرائيلية من أن الضم كان إجراءً مبالغاً فيه. أراد العتيبة من خلال الكتابة بالعبرية أن يبدو في أعين الجمهور اليهودي عربياً ودوداً - مذكراً بإمامهم بأنه كان "واحداً من ثلاثة سفراء عرب تواجدوا داخل الغرفة الشرقية للبيت الأبيض عندما كشف الرئيس ترامب عن تفاصيل خطته المقترحة للشرق الأوسط في يناير / كانون الثاني."

والحقيقة هي أن الخطاب لم يكن شيئاً من ذلك. لم يكن على وجه التأكيد رسالة من الفلسطينيين أنفسهم، فالإمارات العربية المتحدة ليست لديها مشكلة مع الاحتلال الإسرائيلي، وقامت بشكل علني بإرسال طائرتين ممثلتين بمعدات الحماية الشخصية إلى مطار بن غوريون كما أبرمت عدداً لا يحصى من الصفقات التجارية الكبيرة مع إسرائيل للتأكيد على نيتها تطبيع العلاقات معها.

لقد ولت تلك الأيام التي كان يُتكتّم فيها على خطط تحليق الطائرات المتجهة من أبوظبي إلى بن غوريون من خلال جعلها تختفي فوق الأردن. لقد غدت الإمارات العربية المتحدة و"إسرائيل" شيئاً واحداً، ولم يعد ثمة حاجة لأن يخفي الطرفان علاقة الغرام بينهما خلف أشجار الغابة. كما لم تكن تلك رسالة من الأردن، الذي يعتبر أن الضم يشكل تهديداً وجودياً على المملكة.

بل ثبت أنها رسالة موجهة من اليهود اللبراليين في أمريكا إلى اليهود اليمينيين في "إسرائيل". وكان العقل المدبر من وراء تلك العملية هو الملياردير الأمريكي الإسرائيلي حاييم سابان، بحسب ما ورد في تقرير نشره موقع أكسيوس، حتى أن كارولين كليك، المستشارة السابقة لنتنياهو، وصفت الرسالة بأنها من بنات أفكار سابان.

يتصدى الإماراتيون للرئيس التركي رجب طيب أردوغان بشكل مباشر، فقد مولوا المحاولة الانقلابية لجماعة غولن في عام 2016

على أية حال، لم يكن لما ورد في المقالة أدنى علاقة بالرأي العربي. إلا أنها اشتملت على رسالة أخرى أكثر أهمية، إذ يظهر بيان مهمة محمد بن زايد في فقرتين مهمتين مما كتبه العتيبة.

كتب العتيبة يقول:

"من خلال امتلاكهما لأفضل القدرات العسكرية في المنطقة، وقلقهما المشترك إزاء الإرهاب والعدوان، وعلاقتهم العميقة والطويلة مع الولايات المتحدة، فإن بإمكان الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل إقامة تعاون أمني أوثق وأكثر فاعلية.

"وبكونهما القوتين الاقتصاديتين الأكثر تقدماً وتنوعاً في المنطقة، فإن بإمكانهما توسيع الروابط التجارية والمالية وتسريع النمو والاستقرار في مختلف أنحاء الشرق الأوسط."

في هاتين الجملتين، لا تدعي الإمارات العربية المتحدة فقط أنها تملك جيشاً أقوى من جيشي مصر والمملكة العربية السعودية معاً، ولكنها تزعم أيضاً، وبشكل خيالي، أنها تملك الاقتصاد الأقوى والأكثر تنوعاً في العالم العربي.

وأي تباه هذا الذي يصدر عن ولي عهد دولة بحجم مدينة صغيرة في الخليج!

كانت لأسبرطة الصغيرة طموحات كبيرة.

الشريك الصغير لـ “إسرائيل”

من خلال مقارنتها لجيشها الإسرائيلي، فإن الإمارات العربية المتحدة تنحي جانباً حلفاءها في الجيشين السعودي والمصري. ولكن هذا لا يهم كثيراً، لأن محمد بن زايد يرغب في تحويل دويلته إلى “إسرائيل” أخرى.

فالبلدان كلاهما صغير في حجمه وفي عدد سكانه، وكلاهما فيهما مجتمع معسكر بعمق. معروف عن “إسرائيل” أن جيشها يتكون من مواطنيها، لكن ما ليس معروفاً بنفس القدر هو أن محمد بن زايد فرض التجنيد الإلزامي على رجال الإمارات في عام 2014 وقرر في عام 2018 مد فترة الخدمة الإلزامية من 12 شهراً إلى 16 شهراً.

وكلا البلدين يمدان أذرعهما العسكرية والاقتصادية بعيداً خارج حدودهما وصولاً إلى قلب أفريقيا. وإذا كانت “إسرائيل” قد أثبتت أن لديها ذراعاً طويلة تصل إلى عنتيبة وكل أرجاء العالم حيث تنفذ أعمالاً انتقامية، فقد أثبتت الإمارات العربية المتحدة كذلك أن ذراعها طويلة في ليبيا وتركيا وسوريا – وكلها بلدان قاصية عن الخليج.

وكلاهما لديهما مجموع سكاني ديناميكي بإمكانه أن يخدم المصالح الغربية. وكلاهما لديهما أعداء مشتركون هم الإسلاموية وتركيا وإيران. وكلاهما لديهما استراتيجية مشتركة في المنطقة، وأكبر تحديين إقليميين يواجهان الإمارات و”إسرائيل” هما تركيا وإيران على التوالي.

يتصدى الإماراتيون للرئيس التركي رجب طيب أردوغان بشكل مباشر، فقد مولوا المحاولة الانقلابية لجماعة غولن في عام 2016، ويعارضون قوته في إدلب من خلال تمويل بشار الأسد حتى يخرق وقف إطلاق النار الذي رتبته الروس، كما تواجه الإمارات العربية المتحدة القوات التركية في ليبيا.

وعندما هاجمت مقاتلات مجهولة بطاريات الدفاعات الجوية التركية في الوطية، القاعدة الجوية الليبية التي كانت قد استعيدت السيطرة عليها مؤخراً، غرد عبدالخالق عبدالله، المستشار في ديوان الرئاسة الإماراتي قائلاً: “بالنيابة عن جميع العرب، لقد لقت الإمارات العربية المتحدة الأترك درساً.”

وما لبث بعد ذلك أن شطبها على عجل.

إلا أن "إسرائيل" تبقى موجودة في الخلفية. فهي تعتبر الجيش التركي مصدر أكبر تهديد لها. وكما نقلت في كانون الثاني/ يناير من العام الماضي، كان رئيس الموساد يوسي كوهين قد قال في جمع من الدبلوماسيين من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر في إحدى العواصم الخليجية إن "إسرائيل" تعتبر الجيش التركي أكثر قدرة من الجيش الإيراني وأصعب منه احتواءً. إلا أن "إسرائيل" نفسها لا تواجه تركيا.

وبنفس الطريقة فإن الإمارات العربية المتحدة لا تواجه إيران، حتى حينما يتم تلغيم ناقلات النفط خارج ميناء إماراتي، بل "إسرائيل" هي من يقوم بالأمر الحركية، ويعتقد بأن "إسرائيل" هي التي تقف وراء تفجير ضخّم وقع في ناتانز داخل مختبرات تجميع أجهزة الطرد المركزي لتخصيب اليورانيوم، وربما تقف أيضاً خلف ما يقرب من ست انفجارات غامضة أخرى وقعت في إيران.

التاريخ نذير شؤم على مشروع محمد بن زايد. فكل دولة عربية عملت مع إسرائيل أو اعترفت بها باتت اليوم نتيجة لذلك أضعف مما كانت وأكثر انقساماً

وإقليمياً، تعمل الإمارات العربية المتحدة و"إسرائيل" بالترادف، وتحمي كل منهما ظهر الأخرى. ولكن ذلك لا يعني أن المشروع مستقر أو أنه مؤهل للبقاء على المدى البعيد. وربما وجدت "إسرائيل" بالفعل أن من المفيد أن تجاري محمد بن سلمان وتطلعاته الشخصية خدمة لمصالحها هي والمتمثلة في إبقاء الفلسطينيين رهن الاحتلال الدائم.

ولكن مصالحها القومية تأتي في المقام الأول.

تسببت جرأة العتبية في رد فعل من مستشارة نتنياهو السابقة كارولين غليك التي كتبت في صحيفة "إسرائيل اليوم" تقول: "لا أحد هنا يسدي معروفاً للآخر. وبمناسبة ذكر المعروف، فإن الجانب الأقوى في هذه الشراكة هي إسرائيل. فالاقتصاد الإسرائيلي أقوى بكثير من الاقتصادات النفطية في دول الخليج الفارسي. فمن ذا الذي يظن العتبية أنه يخوفه بتهديداته بينما يُباع برميل النفط الآن بسبعة وثلاثين دولاراً؟"

ليس بالإمكان سوى لكلب واحد بالتواجد داخل الحي، ولا تنوي "إسرائيل" إشراك أحد معها من العرب يفكر بما هو أكبر من حجمه في لعب ذلك الدور.

والمشكلة الثانية المتعلقة بمهمة محمد بن زايد تكمن في حلفائه من العرب السنة. عندما يدرك السعوديون والنخب العسكرية المصرية أن مصالحهم القومية والتجارية تعاني، فسوف يبدأون بالنظر إلى مغامرات محمد بن زايد الحيوية بشكل مختلف.

تمنح الاتفاقية البحرية التي وقعتها تركيا مع الحكومة المدعومة من قبل الأمم المتحدة في طرابلس مصر قدراً أكبر من الوصول إلى الثروات البحرية مما كان يمكن أن تحصل عليه من إبرام صفقة مع قبرص أو اليونان، ومع ذلك فقد نددت مصر بالاتفاق واعتبرته غير قانوني.

وبنفس الشكل، فإن تقطيع أوصال اليمن من قبل الإمارات العربية المتحدة، والتي تحتل الآن جزيرة سوقطرة اليمنية وتدعم الآن الانفصاليين في عدن، لا يخدم مصالح الرياض، والتي تهتم بالدرجة الأولى بالحفاظ على الأمن على امتداد حدودها الجنوبية وبتنصيب نظام موال لها في صنعاء.

دروس من التاريخ

لا ينبغي أن تنخدع "إسرائيل" بتعبيرات التأييد التي تصدر عن مرزبانات الإمارات من أمثال عبدالسلام البدري، نائب رئيس وزراء حكومة شرق ليبيا التي تتخذ من طبرق مقراً لها أو هاني بن بريك، نائب رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي في عدن.

إن التاريخ نذير شؤم على مشروع محمد بن زايد. فكل دولة عربية عملت مع "إسرائيل" أو اعترفت بها باتت اليوم نتيجة لذلك أضعف مما كانت وأكثر انقساماً. وهذا ينطبق على مصر والأردن، حيث يعرب الدبلوماسيون في كليهما، والذين ظنوا أنفسهم في يوم من الأيام رواداً، عن أسفهم لما قاموا به باسم السلام. فقد ثبت لهم أن ذلك كان فجراً كاذباً ومرأً.

لم تتحقق المعجزة الاقتصادية التي وُعد بها البلدان حينذاك، ومازال الصراع الفلسطيني بلا حل، وأضحى فلسطين التاريخية أضعف وأصغر مما كانت عليه في أي وقت مضى.

لم يكن لإيران في يوم من الأيام تمدد عسكري يتجاوز مناطق الأقليات الشيعية في الدول العربية السنية

وهذا هو الأردن الذي عمل عن قرب مع الإسرائيليين أكثر من أي بلد عربي آخر يقف على حافة الإفلاس، ويعاني من بطالة شديدة وتفسخ اجتماعي، ومع هيمنة اليمين الاستيطاني في "إسرائيل" لم يعد لمصالح الأردن الاستراتيجية في الضفة الغربية والقدس من شأن.

وفتح التي اعترفت بـ "إسرائيل" تسأل نفسها نفس السؤال: لماذا قمنا بذلك في أوصلو؟ ماذا حققنا من ذلك؟ ولعل هذا الحوار يقربهم أكثر فأكثر من منافسيهم في حركة حماس.

تحالف محكوم عليه بالفشل

والواقع أن التحالف بين “إسرائيل” والإمارات العربية المتحدة محكوم عليه بالفشل. فهو صنعة أفراد لا شعوب، وأفكار محمد بن زايد هي أفكاره وليست أفكار شعبه ولا بلده.

وما زال الشارع العربي متصلباً في معارضته للاعتراف بـ “إسرائيل” حتى يتم إيجاد حل عادل للفلسطينيين، حل يتعلق بأرضهم وبحقهم في العودة إليها.

بل إن مشروع محمد بن زايد و “إسرائيل” سم على المنطقة.

قبل الحروب الأهلية في سوريا وليبيا لم يكن لتركيا سياسة خارجية تقوم على التدخل، ولكنها الآن تنهج مثل هذه السياسة. وبنفس الشكل، لم يكن لإيران في يوم من الأيام تمدد عسكري يتجاوز مناطق الأقليات الشيعية في الدول العربية السنية، حتى لو أخذنا بالاعتبار دعمها العسكري لحزب الله ودعمها المالي لحماس.

ولم يحصل من قبل أن هددت إيران في واقع الأمر هيمنة “إسرائيل” العسكرية كما أقر بذلك كوهين ذاته في الاجتماع الذي جرى في دولة خليجية قبل ما يزيد عن عام، بل إن إيران من وجهة نظر الموساد قابلة للاحتواء.

وبناء على ذلك فإن مهمة محمد بن زايد مهمة مستحيلة، وكلما سارع حلفاؤه العرب في رؤية ذلك كلما تمكنوا سريعاً من الحيلولة دون استمرار الحرب في المنطقة لعقد آخر.

المصدر: [ميدل إيست آي](https://www.noonpost.com/37616)

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/37616](https://www.noonpost.com/37616)